المحاضرة الثانية **مقياس : منهجية و تقنيات البحث 2**

السنة أولى ماستر – السداسي الثاني . **الاستاذ: العقبي الازهر**

تقنيات جمع المعلومات : " الملاحظة " .

تعتبر الملاحظة إحدى التقنيات المنهجية المباشرة المتبعة في جمع البيانات و المعلومات من الميدان , ولما كانت الملاحظة خاصية كل إنسان وجب علينا التمييز بين الملاحظة العادية التي يشترك فيها جميع البشر و الملاحظة المنتظمة التي يجمع الباحثون و المهتمون على أنها تقنية من التقنيات المنهجية المباشرة و الرئيسية التي تستخدم في البحث العلمي و مصدرا أساسيا للحصول على البيانات و المعلومات اللازمة .

هذه الاخيرة تعتمد أساسا على حواس الباحث و قدرته الفائقة على ترجمة ما لاحظه و تلمسه إلى أفكار و عبارات لها معنى و مقصد , تسمح له بوضع فروض مبدئية يحتمل تحققها .

تعريف الملاحظة :

تعرف بأنها : "إحدى التقنيات المنهجية في جمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراساة النظرية أو المكتبية , كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق و السجلات الادارية أو الاحصائيات الرسمية و التقارير أو التجريب ."

مما سبق يمكن أن نخلص إلى تعريف الملاحظة بأنها تقنية منهجية مباشرة لجمع البيانات و المعلومات من الميدان . تستخدم حينما يتعذر الوصول إليها عن طريق التقنيات المنهجية الاخرى .

شروط القيام بالملاحظة المنتظمة (العلمية) : (مجموعة ضوابط وجب مراعاتها)

هناك عدة خطوات يجب على الباحث التقيد بها قبل و أثناء القيام بالملاحظة , نوجزها فيمايلي :

1 - التحضير و التدريب قبل الدخول إلى الميدان .

2 - تحديد مجال الملاحظة , أي ما يريد الباحث ملاحظته , أي ما هو نوع البيانات المراد ملاحظتها : الفئات المعنية بالملاحظة من طرفه , هل الانماط السلوكية , العلاقات الاجتماعية , الظروف المادية , ظروف العمل , ظروف السكن ,ظروف السلامة المهنية . ... ؟.إلخ .

هذا و تجدر الاشارة أن مجال الملاحظة يرتبط بتساؤلات الدراسة أو فرضياتها و كذا بمؤشرات هذه الاخيرة , فضلا

عن أهداف الدراسة , و المدخل أو المقاربة النظرية المعتمدة من طرف الباحث .

3 - بعد أن يكون الباحث قد أجاب على هذه التساؤلات يمكن له بعدها تحضير ما يسمى ب" دليل الملاحظة " والذي يتضمن النقاط و المواضيع المختلفة المتوقع ملاحظتها , حيث يوجه من خلاله ملاحظاته , وذلك قبل النزول إلى الميدان .

4 - تحديد مكان وزمان الملاحظة .

5 - الشروع في الدخول إلى البيئة المخصصة للدراسة أي مجال البحث .

6 - التفاعل الاولي مع عناصر البيئة .

7 - الملاحظة و التسجيل (تدوين مجريات الامور بدقة و في الوقت المناسب أي عدم تأجيل تسجيل ما يلاحظ) وهذا تلافيا لعدم النسيان و أيضا لتحقيق الموضوعية و النزاهة في المعلومات المتحصل عليها .

و بالنسبة لتسجيل الوقائع , يمكن للباحث أن يستعين في هذا المجال ببعض وسائل التسجيل المتوفرة (أجهزة التصوير, أشرطة فديو, أجهزة أوديو و غيرها من الوسائل المتاحة) .

هذا , و يمكن خلال إجراء الملاحظة أن يكتشف الباحث و يلاحظ بعض الوقائع التي لم يضعها في إعتباره و لها أهميتها و مدلولها في تعميق جوانب الموضوع , ومن ثم عليه تسجيلها و تدويتها .

8 - إنهاء العمل الميداني إما بتكوين فرضية أو تقديم تقرير عن الدراسة .

<u>أهمية الملاحظة في البحث الاجتماعي</u> :

يجمع الباحثون على أن الملاحظة تعتبر من أهم الادوات التي تستخدم في البحث العلمي للحصول و جمع البيانات و المعلومات اللازمة لموضوع الدراسة .

هذه الاخيرة تتميز بأنها تعتمد أساسا على حواس الباحث (البصر والسمع ,و العقل) و قدرته الفائقة على ترجمة ما يلاحظ إلى عبارات ذات معاني و دلالات .

كما يرى البعض أن أداة الملاحظة تعرف بأنها أكثر التقنيات صعوبة , لانها تعتمد على مهارة الباحث و قدرته على تحليل العلاقات الاجتماعية و أنماط السلوك الاجتماعي المراد دراستها , وفضلا عن العلاقات الاجتماعية , تستخدم الملاحظة أيضا في رصد و معرفة ظروف مادية معينة : كالظروف الفيزيقية و ظروف العمل بشكل عام و غيرها .

كما تعتبر هامة من حيث أنها شرط مسبق لبناء أحسن بحث ميداني بواسطة مقابلات أو من خلال إستبيانات ... فهي تسمح بتكوين تصور مؤقت عن الواقع و الظروف ...وفي ضوئها تبنى و تصمم خطوات البحث وتبنى فروضه و تخط مراحل إنجازه .

<u>أشكال الملاحظة و أنواعها</u> :

هناك ثلاثة أنواع : 1 - الملاحظة المباشرة .

2 - الملاحظة غير المباشرة .

3 - الملاحظة بالمشاركة .

<u>1-الملاحظة المباشرة</u> :

تعتبر الملاحظة المباشرة وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات , و كذا وصف الظروف أو الممارسات الشائعة أو السائدة و التعرف على المعتقدات عند الافراد و الجماعات ...

هذه الاخيرة تستخدم عندما يكون هناك معلومات يمكن للباحث أن يحصل عليها بالفحص المباشر , و ذلك عندما يكون الامر متعلقا بالاشياء المادية .

هذا وتجدر الاشارة إلى أن الملاحظة المباشرة , تستخدم الحواس الشخصية للباحث , فضلا عن الاجهزة العلمية , أدوات التصويرالمختلفة و الوسائل السمعية و البصرية ...إلخ .

<u>أمثلة عن ذلك</u> :

أ - "الاوضاع السكنية و العيشية لفئة إجتماعية معينة " .

ب- " نوع الجمهور المتردد على المتحف و قاعات السينما " .

بالنسبة للمثال الثاني , يمكن للباحث ملاحظة و عد الناس عند المغادرة و ملاحظة إذا ما كانوا من الشباب أم من المسنين , من الذكور أم من الاناث ....إلخ . ؟

2-الملاحظة غير المباشرة :

و تكون من خلال تدوين الباحث و تسجيله ما يلاحظ من البحوث السابقة سواء كان كلاما أم سلوكا , أو بيانات نقلا عن طرف ثاني ينتمي للمجتمع المبحوث .

3-الملاحظة بالمشاركة :

تستخدم الملاحظة بالمشاركة أحيانا كأداة لجمع المعلومات , خاصة في الابحاث الاجتماعية –الانثروبولوجية .

و يتميز هذا النوع من الملاحظة بقيام الباحث بالعيش مع الجماعة التي يدرسها بحيث يتمكن و بالتدريج من أن يضع نفسه مكان أفراد هذه الجماعة حتى يفهم كيف يرى كلا منهم البناء الاجتماعي للجماعة , و ما هو التفسير الذي يقدمه لهذا البناء .

و فضلا عن ذلك , هذه الاخيرة تسمح للباحث من إحتلال وضع على مستوى المجموعة المدروسة و المشاركة في حياتها اليومية و أوقاتها الخاصة الاستثنائية (الاعياد والاحتفالات ...إلخ) .

و عليه فإن الملاحظة بالمشاركة تتطلب من الباحث معايشة مجتمع الدراسة بحيث يكون خلالها الباحث جزء من الجماعة التي ينوي دراستها و ذلك من خلال المشاركة الكاملة في حياتها و فعالياتها اليومية .

و هذا يتطلب طبعا إكتساب عاداتها و تقاليدها و أنماط سلوكها المختلفة , حتى تنشأ بينه و بين المبحوثين علاقات إجتماعية و ثقة متبادلة تسمح له بالحصول على المعلومات المنتظرة .

و لهذا وجدنا الملاحظة بالمشاركة قد تدوم مدة طويلة , مما يسمح بإندماج الباحث مع أفراد العينة و تسجيل بعض الملاحظات القيمة التي يتعذر عليه – أي الباحث – التوصل إليها بالكيفيات الاخرى .

مزايا و عيوب الملاحظة المباشرة :

1-إن النزول المباشر إلى ميدان البحث و بدء الملاحظة المباشرة و تسجيل الملاحظات الميدانية , غالبا ما يؤدي إلى الحصول على معلومات مشوهة عن الظاهرة المدروسة خاصة إذا تعلق الامر بسلوك الافراد , إذ غالبا ما يزيف الافراد الواقعون تحت الملاحظة سلوكهم بطريقة ما , إما لإرضاء الملاحظ أو لخداعه أو لتحسين صورهم في نظر الملاحظ , و هذا ما يتطلب من الباحث في هذه الحالة التخلي عن الملاحظة المباشرة و إستعمال أنواع أخرى للملاحظة .

حيث قد يعمد كثير من الناس عن قصد – عند معرفة أنهم موضوعون تحت الملاحظة – إلى إظهار إنطباعات مصطنعة للقائم بعملية الملاحظة .

2-تتميز الملاحظة المباشرة بأنها محدودة بالوقت الذي تحدث فيه الاحداث , وبعض تلك الاحداث قد تستغرق فترة سنوات , وبالتالي فسيكون من المستحيل على الباحث أن يجمع البيانات و الادلة الضرورية اللازمة .

3- هناك بعض الاحوال التي لا يمكن فيها الملاحظة لأنها تخص الجانب الشخصي (الخاص) من حياة المبحوثين .

4- ينتاب هذا النوع من الملاحظة , عدم الموضوعية نتيجة عيوب في الملاحظة , كالتحيز و الذاتية وعدم النزاهة .

5- عيب هذا النوع من الملاحظة , أنه يمكن إجراؤه فقط على عدد قليل من المبحوثين .

<u>مزايا و عيوب الملاحظة بالمشاركة</u> :

1- أنها تستغرق وقتا طويلا و تستمر في الزمن .

2- أنها تتميز بالتلقائية .

3- أن أهميتها , تبرز عندما تكون هناك عمليات تتضمن دراسة الانسان أثناء قيامه بعمله , و هي عملية تعتبر أكثر تعقيدا و صعوبة .